الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المديريّة العامّة للبحث العلمي والتّطوير التكنولوجي
مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة
الأغواط ـــ الجزائر

Direction de la Recherche Scientifique
et du Développement Technologique
Centre de Recherche en sciences islamiques
Et civilisation Laghouat – Algérie

إفادة بنشر مقال علمي

يشهد مدير مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط – الجزائر، أن

د. هشام تومي - جامعة خنشلة-الجزائر.

قد نشر(ت) مقالا بعنوان:

"الخطاب الديني الأصولي في روايتي الورم والغيث للروائي محمد ساري"

وهو مقال مفيد علميّا ومنهجيّا، محكم بخبرة إيجابية، ونشر في الكتاب الجماعي الذي يحمل عنوان:

" تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر" في طبعته الأولى .

تحت رقم: ISBN: 978-9931-705-33-8

إمضاء مسؤول الإشراف والتحرير :

مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالأغواط - الجزائر
رئيس مشروع الكتاب الجماعي: تجليات الخطاب الديني
في السرد الجزائري المعاصر
د . نور الدين بن لعبيجة

مدير المركز :

مدير مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة
الإمضاء: مبروك زيد الخير

ملاحظة : سلّمت هذه الافادة للمعني(ة)، لاستعمالها فيما يسمح به القانون .

العنوان : مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة، مقابل المستشفى الجامعي الاغواط – الجزائر، ص.ب 4082 بريد المحطة
الهاتف والفاكس: 21329146190، البريد الالكتروني: contact@crsic.dz، الموقع الرسميwww.crsic.dz

مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة - الأغواط - الجزائر

تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر

تحرير و إشراف :
د. نور الدين بن نعيجة

تأليف :
مجموعة من الباحثين

اصدارات مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة
الأغواط- الجزائر

تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر

THE MANIFESTATIONS OF RELIGIOUS DISCOURSE IN THE ALGERIAN CONTEMPORARY NARRATION

تأليف :
مجموعة من الباحثين

تقديم :
أ.د بوداود وذناني
جامعة عمار ثليجي بالأغواط - الجزائر

إشراف وتحرير:
د. نورالدين بن نعيجة

بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات الخطاب الديني في السرد الجزائري المعاصر

LES MUTATIONS DE LA VILLE SAHARIENNE ALGERIENNE

الطبعة الأولى

1442هـ - 2020 م

ISBN : 978-9931-705-33-8(ردمك)

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة الأغواط - الجزائر

العنوان : مقابل المستشفى الجامعي الاغواط – الجزائر

هاتف / فاكس: 21329146190

البريد الالكتروني : imp@crsic.dz

إن الآراء والاتجاهات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب، لا تعبر بالضرورة عن رأي مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة بالأغواط- الجزائر، وان كانت في سياق اهتماماته المعرفية .

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية أو أي وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من إدارة المركز .

❁ مقدمة المشرف على الكتاب ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعتبر الرواية اليوم أحد الفنون الأدبية التّي تعبر عن الذّات وبواطنها، وعن حياة المجتمعات وظواهرها، بكلّ تناقضاتها الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية. مستخدمةً بذلك اللغة كوسيلة للتعبير، والإبداع، والوصف. وقد ساعدها في ذلك بنيتها السردية المرنة، وتجرباتها المتنوّعة، وسعة الخيال. مما أهّلها لتكون الأكثر شيوعًا وانتشارًا، بين كلّ أنواع الأدب الأخرى.

ولأن الرواية الجزائرية هي جزء من السردية العربية والعالمية، فقد أبدعت هي كذلك في كتابتها عن المجتمع، ونبش مكامن الذات، وجسدت بين ثناياها الحكائية صراع الانسان الدائم مع الحياة، وبحثه غير المستكين عن تلك الخبايا التي تلفه، لتتبلور بذلك مع جملة التحولات المجتمعية، والفكرية، والعلمية، التي ميّزت عالمنا المعاصر.

غير أن الناقد اليوم يلاحظ ذلك التوظيف الايديولوجي الرهيب التي أصبحت تتسم به السردية فلم يعد يحدها حد في الكتابة، ولا في سعة تخيلاتها، طرقت باب المقدس و المدنس دون حياء، محاولة إعادة تشكيل وعي الملتقي بما يخدم ايديولوجية الروائي.

ولأن الخطاب الديني هو من المرتكزات الأساسية، التي يقوم عليها وعي الشعوب، فقد جاءت فكرة انشاء كتاب جماعي يحاول النبش والبحث عن تمظهرات الخطاب الديني في الرواية الجزائرية، وكيفية توظيفه في المتن الحكائي الجزائري، باعتبار أنّ الخطاب الديني -حسب بعض النقاد- هو نوع من التراث الذي يشكل جزءا كبيرا من ثقافة المجتمع العربي بصفة خاصة، و التطرق لمعالجة هذا النوع من التراث هو تنقيح

ومعالجة للواقع العربي وقضاياه، وهذا ما يسعى إليه هذا الكتاب الذي يحاول أن يجيب على الإشكالات التالية:

- كيف كان توظيف الخطاب الديني في الرواية الجزائرية؟
- هل كان توظيف الرواية الجزائرية للخطاب الديني، توظيفاً واقعياً، يبحث عن رقي الانسان، وحل مشاكله الاجتماعية والحياتية؟ أم كان توظيفاً إيديولوجياً، مرتبطاً برؤية الكاتب للعالم وللكون.
- بما أن الشخصية هي عمود السرد، كيف كان توظيف الشخصيات الدينية في السرد الحكائي، وما مدى تأثيرها على الوعي الجمعي.
- وبما أنّ الرواية هي عمل فنّي تخييلي، ما مدى ارتباطه بالدين كمقدس، مرتبط بواقع الفرد والمجتمع؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالات رأينا أن يكون مجال البحث ضمن أربعة محاور هي:

- المحور الأول: أدلجة الخطاب الديني في الرواية الجزائرية.
- المحور الثاني: أشكال التناص الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة.
- المحور الثالث: الشخصية الدينية بين الاعتدال والتطرف في المتن الحكائي الجزائري.
- المحور الرابع: الخطاب الديني في الرواية الجزائرية واسقاطاته على الواقع.

وبعد استقبال المقالات العلمية، وخضوعها للمراجعة والتحكيم من قبل خبراء في التخصص، تم قبول (26) مقالاً علمياً تم تقسيمهم عبر محاور هذا الكتاب.

ونلفت نظر القارئ العزيز إلى أنّ هذه المحاور ليست مضبوطة بالشكل الدقيق بسبب التداخل الموضوعي فيما بينها، كما قد يجد القارئ دراسات متعددة لمدونة واحدة، لأننا رأينا بضرورة فتح المجال لطلبتنا الأعزاء "طلبة الدكتوراه" من أجل النشر والتشجيع عليه.

وفي الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر جميع أعضاء اللجنة العلمية الذين سهروا على تحكيم ومراجعة المقالات الواردة إلينا، بالرغم من الظروف الصعبة التي يمر بها العالم أجمع جراء جائحة كورونا (Covid 19)، سائلين المولى عز وجل أن يرفع عنا الوباء ويمتعنا بالصحة والعافية والهناء.

وفي الأخير نتمنى أن يستفيد القارئ والباحث من محتويات هذا الكتاب وأن يكون إضافة جديدة للمكتبة الوطنية والعربية والعالمية، والله هو الموفق وعليه حسن الاتكال.

د.نورالدين بن نعيجة

المشرف على الكتاب الجماعي

❁ تقديم الكتاب ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فتنة القول

إن المطلع على الرواية الجزائرية، يجد أن عمرها قصير، ولكن أمرها عجيب . فقد ظهرت متأخرة كثيرا إلا أنها استطاعت في زمن قصير أن تقطع مراحل كثيرة في تطورها الفني . و بما أن الرواية فضاء تخييلي يتسع لخطابات كثيرة تتزاحم، وتتصارع داخله . فإنها تبدأ بكلمة وتنهي بكلمة، ولكن بين الكلمة، والكلمة . أقوال وأقوال . والقول فتنة، كما يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين . وفتنة القول قد تكون أكبر، عندما يصبح النص الروائي ميدانا للتصارع بين المقدس والمدنس . وهنا يتضاعف جهد الكاتب لكي يستطيع التحكم في إدارة الصراع . وإذا كان النص الروائي، هو تكامل بين الفن والوعي، فإن الروائي الجزائري، كان دائما يكتب من خلال مسؤوليته الإنسانية . لذلك جاءت الرواية الجزائرية، في كل أبعادها تعبير عن واقع اجتماعي من خلال رؤية أيديولوجية . و متميز ة بخصوصية الواقع الجزائري . وانطلاقا من هذا التصور المعرفي جاءت مقاربات الباحثين، تنقيبا عن المنطلقات الفكرية التي ينطلق منها كل روائي، في تناوله للخطاب الديني . وتشجيعا للعمل البحثي، جاء حرص الدكتور ابن نعيجة نور الدين على جمع أعمال مجموعة كبيرة من الباحثين في مصنف واحد، حرصا منه على خدمة الرواية الجزائرية . وهي مجموع بحوث، تلتقي في مجال معرفي واحد، له أهمية كبيرة في حياة المجتمع الجزائري، ألا وهو الخطاب الديني . والكل يدرك بأن التعامل مع الخطاب الديني ليس بالأمر السهل وذلك لأمرين : أولا : أنه يحتاج إلى وعي فكري وبعد نظر لما للدين من قداسة

في النفـوس . ثانيـا : الاخـتلاف بـين الكتـاب في نظـرتهم للـدين . فكـل كاتـب يتنـاول الخطاب الـديني وفـق موقفـه الأيـديولوجي . وقـد جـاء هـذا المصنـف يحمـل بين دفتيـه حوالي ثلاثين مقاربة لأكثر من خمسة وثلاثين نصا روائيا جزائريا.

وقـد يتسـاءل البعض لماذا الاهتمام بالخطاب الـديني بالـذات، وهناك خطابات كثير يحملهـا المنجـز الروائي الجزائـري ؟ لا يختلـف اثنـان فيمـا للخطـاب الـديني مـن أهميـة فكريـة، وموضـوعية، وجماليـة، في أي نـص أدبي . فكلمـا تنـوع الخطـاب الـديني داخل المتن الروائي، كلما زادت فسحة التأويل وعمق الدلالة فيه . ووفق هذه الرؤية جـاءت مقاربـات البـاحثين، وهي في مجموعهـا قـراءات نقديـة، كـان هـدف أصحابها تحليـل وتشـريح تموقـع الخطـاب الـديني، داخـل نسـج المـتن الروائـي الجزائـري . مـن وجهات نظر مختلفة، وبأبعاد أيديولوجية متباعدة . كل حسب نظرته، والمنهج الذي يتبناه . فكانت تلك المقاربات، اكتشاف جديد لبعض خفايا الخطاب الديني في النص الروائي الجزائـري . وبـذلك أعطى البـاحـث الجزائـري صـورة واضـحة على جديتـه، واهتمامـه بـالأمور التي تهـم مجتمعـه . كمـا بـرهن مـن جانـب آخـر على فهمـه للعمـل الروائي، وما تكتنفه من حقائق خفيّة مرمزة، عمل الروائي على عدم الإفصاح عنها، الأمر الذي يضاعف من عملية القراءة والتأويل لدى المتلقي .

وفي الأخير يمكننا أن نقول أن ما جاء في هذا الكتاب من مقاربات نقدية، هـو جهـد فكـري متميز، وإضـافة جديـدة، للمكتبـة الجزائريـة والعـالم العربي في مجـال النقد الروائي .

أ.د بوداود وذناني

المحور الثالث:

الشخصية الدينية بين الاعتدال والتطرف

في المتن الحكائي الجزائري

الخطاب الديني الأصولي في رو ايتي الورم والغيث للرو ائي محمد ساري

Fundamentalist religious discourse in the novel ALWARAM and ALGHAITH by the novelist Mohammed sari

د. هشام تومي* / د. حمزة بسو

جامعة خنشلة/ جامعة سطيف2 -الجزائر

ملخص:

تتوسل الرواية بالخطاب الديني لأغراض بنائية وفنية، حيث ينطوي، ذلك الخطاب على دلالات ورؤى عميقة تسهم في تشكيل نسيج الخطاب الروائي وإخصابه، ولعلّ لجوء الروائيين إلى الخطاب الديني يعود إلى وعيهم بمدى فاعليته في تشكيل عوالم الرواية من جهة، ومن جهة أخرى طرح قضايا معاصرة تلتقي مع ما هو حاصل في الواقع الذي يعيشه جمهور المتلقين، للولوج في ثنايا أفكارهم ومعتقداتهم ناقدين إيّاها وموجهين لها، أو لإبراز الخلل فيها ومحاولة خلخلة تلك المسلمات القطعية وإخضاعها للمراجعة والنقاش وفق رؤية كونية لا تدّعي الحياد أو التحيّز... وعليه تسعى هذه الدراسة للالتفات إلى الخطاب الديني الأصولي من خلال عملين روائيين للروائي محمد ساري، هما: "الورم" و"الغيث"، وانطلاقا منهما تمت معالجة قضايا دينية أصولية، كانت صدى لفترة عصيبة من تاريخ الجزائر -العشرية الحمراء- بسبب الفهم القاصر لما تضمّنه القرآن وتضمّنته السنة، مفسرين، ذلك وفقا للأهواء التي بُنيت على إديولوجيات متطرّفة، متخذة الدينَ مطية للتقتيل والتخريب.

* المؤلف المرسل: toumihi@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني، الأصولية، الرواية الجزائرية المعاصرة، محمد ساري

Abstract

The novel is pleaded with religious discourse is order to adorn its structure and artistic structure with its intrinsic and profound connotations that contribute to shaping the fabric of the narrative discourse and support it. Converge with what is actually in the audience to enter into the critiques of their ideas and beliefs critically and directed to them, or to highlight the imbalance in them and try to disrupt those peremptory axioms and subjected to observation and debate according to a global vision that does not claim neutrality or racism ... and therefore this study will seek Taft towards fundamentalist religious discourse through two novelist works of novelist Mohamed Sari: alWaram and alGhaith, where they relied on discussing a very important issue represented in a difficult period in the history of Algeria - the red decade - because of the wrong understanding of what God and His Messenger explained, according to the whims that It was built on takfiri ideologies taken by religion as a ride for murder and vandalism.

Keywords : *the religions discourse; the fundamentalist; the Algerian Contemporary novel; Mohammed Sari.*

مقدمة

لقد سمحت مرونة الخطاب الأدبي باستقطاب خطابات غير أدبية، كالخطاب التاريخي، والسياسي، والفلسفي، والديني؛ حيث يتشرّب الخطاب الأدبي تلك الخطابات فتنصهر فيه وتذوب، وهي خطابات تسهم في التعبير عن رؤية العالم عند الجماعة المحتضنة للنص الأدبي/ الروائي، أو نقد تلك الرؤية. غير أنّ هذا التفاعل بين الخطاب الأدبي وغيره من الخطابات يثير جملة من التساؤلات، لعل أهمّها: هل يفقد الخطاب الأدبي خصوصيته بمجرّد امتصاص

خطاب آخر غير أدبي؟ وفي مقابل، ذلك هل يفقد الخطاب غير الأدبي-وليكن الخطاب الديني في موضوع دراستنا- خصوصيتَه بمجرّد ذوبانِه في نسيج النص الأدبي؟ ما مدى تأثير، ذلك التفاعل الخطابي على لغة الخطاب الأدبي/الروائي؟ ثم كيف يتجلى التفاعل بين الخطاب الأدبي والخطاب الديني؟، أي هل يتم التفاعل على مستوى اللغة أم على مستوى المضمون؟

هي أسئلة نسعى من خلال هذه الدراسة للإجابة عنها، وقد فرضت علينا هذه الضرورة البحثية استقراء نموذج روائي، فوقع اختيارنا على روايتي (الورم) و(الغيث) للروائي الجزائري محمد ساري، حيث بدا التفاعل بين الخطاب الأدبي/ الروائي والخطاب الديني جلياً، ومن، ثم آثرنا أن تكون الروايتان عيّنةً لبيان طبيعة التفاعل بين الخطابَين، وبيان تجليات الخطاب الأصولي فيهما.

1. تعالق الخطاب الديني بالخطاب الأدبي؛ طرح نظريّ:

إنّ تفاعل الخطاب الأدبي بغيره من الخطابات (الخطاب التاريخي، السياسي، الفلسفي، الديني...) لا يعني أنّ الخطاب الأدبي يفقد أدبيّته أو خصوصيته بانفتاحه على تلكم الخطابات، بل إنّه يظل محتفظا بكينونته وخصوصيته التي ضمنها له الطابع التخييلي وطبيعة اللغة المنزاحة والمتوترة. كما لا يعني، ذلك أنّ الخطابات المتشرَّبة والمنصهرة في نسيج النص الأدبي تظل محافظة على كينونتها من حيث هي خطابات مستقلة، فلو كان، ذلك كذلك لصار النص الأدبي وثيقة تاريخية بمجرّد تناول الأحداث أو القضايا التاريخية، ومن خلاله تؤخذ المعلومة التاريخية، وكأنّ النص الأدبي شاهد عيان على تلك الأحداث. ولصار النص الأدبي نصا تقريريا سياسيا بمجرد طرق قضايا السياسة، والحال غير ذلك حتما، فالقارئ يدرك تمام الإدراك أن النص الأدبي قد يعلن عن انتمائه لفكر أو تيار سياسي أو حزب ما، لكن يبقى، ذلك مجرّد تصوير وتعبير عن وجهة نظر سياسية إديلوجية عبر شخصيات النص الأدبي المتخيّل، وعادة ما يتم تقديم الخطاب السياسي في قالب رمزي غير مباشر، وكثير من الأعمال الأدبية شاهد على ذلك؛ مثال، ذلك (كليلة ودمنة، رواية مزرعة الحيوانات لجورج أورويل، روايات الطاهر وطار...).

أمّا عن تعالق الخطاب الفلسفي بالخطاب الأدبي فإنّه تعالق مكين، لأنّه ما من خطاب أدبي إلاّ ويحمل رؤية فلسفية للحياة، فالاستراتيجية الأدبية، خاصة المعاصرة، أضحت تتشابك بالاستراتيجية الفلسفية، مثلما يشير إلى ذلك عبد السلام بن عبد العالي في كتابه (الأدب والميتافيزيقا)، حيث يرى أنّ هاتين الاستراتيجيتين تتشابكان "لتصبحا كتابة تستهدف مراوغة اللغة وتقويض الميتافيزيقا وتفكيك أزواجها"[1]، ومع ذلك، فإنّ اشتغال فلسفة الخطاب الأدبي يكون داخلياً لا يتجاوز عالم النص الإبداعي، في حين يكون اشتغال الخطاب الفلسفي خارجياً، أي على مستوى الواقع المعيش والوجود الحقيقي. وأيّاً ما يكن الشأن، فإنّ الأدب لا ينسلخ من جلده ليتحول إلى فلسفة خالصة، ولذلك أكّد غوستاف لانسون Gustave Lanson أنّ "الأدب هو -في أحسن معاني الكلمة- امتداد للفلسفة"[2]، لكنه ليس الفلسفة عينها.

أمّا فيما يخص تعالق الخطاب الديني بالخطاب الأدبي، فإن الأمر لا يختلف عن ما ذكرنا، فالخطاب الأدبي لا يكون خطابا دينيا خالصا بمجرد تصويره لمنهج ديني معيّن، أو طقوس تعبدية معينة... وما ينبغي له؛، فلا قارئ يعتقد، وهو يقرأ عملا أدبيا، أنّه بصدد خطاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!، أي أنّ القارئ لا يعتقد أنّ الخطاب الأدبي مصدر للتشريع، فمصادر التشريع معلومة، والمنهج الصحيح القويم معلوم أيضا. وركوحا إلى ما سلف، فإنّ الخطاب الأدبي يقدّم تصويرا لقضية دينية/فقهية معينة، وموقف الناصّ منها، وكذا المواقف المختلفة حيالها، إمّا إقرارا أو إنكارا، من، ذلك على سبيل المثال: (قضية طاعة ولي الأمر، الولاء والبراء، الاختلاط، الغناء، الميراث، عمل المرأة، اللباس الشرعي، الحكم بغير ما أنزل الله...)، ولعلّه ما من نصّ أدبيّ إلا ويعالج قضية أو أكثر من القضايا الفقهية والأصولية،

1- عبد السلام بن عبد العالي: الأدب والميتافيزيقا، دراسات في أعمال عبد الفتاح كليطو، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص 10.

2- Gustave Lanson , Histoire de la littérature Française, Librairie Hachette, saint-Germain, Paris, quatorzième Edition, 1920, p 07.

لأنّ الأدب/الرواية في النهاية تمثيل للواقع، أو إن شئت تصوير له ولمفارقاته وتناقضاته، مثلما هو حاصل بالنسبة للعمل السينمائي.

ولمّا كان الأدب لا يَنْوَجِد إلاّ باللغة، ولا ينتسِج إلاّ بها، كان لزاما أن يستميز بلغته عن غيره، ولذلك عُرف الأدب بلغته المنزاحة والمتوترة والقلقة جميعا، وإن كان كلّ، ذلك، مما ينتجز ضمن جمالية الأدب وأدبيّته. ومع، ذلك فإنّ لغة الأدب تظل مرهونة بالأسلبة التي تفرضها طبيعة الموضوع المعالج، والخطاب المتشرَّب، وبالخصوص إذا ما كان العمل سردياً، حيث تتعدد فيه الأصوات (الروّاة، الشخصيات، الإديولوجيات...) فحينئذ لا مناص من وقوع لغة الخطاب الأدبي تحت تأثير لغة الخطاب المتشرَّب، فإذا كان تركيز الناص على قضية دينية/ فقهية في عمله، فإن لغة القرآن أو السنة (الحديث) ومصطلحات الفقه تتسرب إلى لغة الخطاب الأدبي، فيحدث التمازج والتفاعل بين لغة الخطابين.

والحاصل أنّ انفتاح العمل الأدبي، ولتكن "الرواية" في موضوع دراستنا، على الخطابات المختلفة، وليكن "الخطاب الديني" في موضوع دراستنا أيضا، يقتضي ضرورة الانفتاح على لغة الخطاب المتشرَّب، فهي من أمرات التفاعل ومؤشراته.

ركوحا إلى ما سلف، فإنّ التفاعل بين الخطابين الأدبي والخطاب الديني، يتمّ على مستويين: مستوى اللغة ومستوى المضمون، وهذا ما سنحاول تقصيه عبر العملين الروائيين للروائي الجزائر (محمد ساري) وهما: رواية (الورم) ورواية (الغيث)، حيث انطويا على تفاعل بيّن بين الخطابين الأدبي والديني.

2. رواية الورم والمرجعية الدينية

تنتمي رواية الورم إلى أدب المحنة –كما اصطلح عليه- كونها تتناول فترة من الفترات التاريخية المعاصرة التي مرت بها الجزائر وهي فترة التسعينيات المعروفة بالعشرية السوداء/الحمراء، حيث صورت الواقع السياسي والاجتماعي في بعده التاريخي بطريقة مأساوية فجائعية تنم عن عمق في الطرح، وعن مدى التزام الكاتب بالقضايا الوطنية

الجوهرية وتلمّسها بطريقة فنية تتغيا البحث والتنقيب في جذور هذه الأزمة، لمعرفة الأسباب والمسببات التي أدت إلى هذا الدمار والخوف والتقتيل المجاني، فقد أدى الاضطراب السياسي إلى خلق فتنة بين أبناء الوطن الواحد حول الأحقية في السلطة واستلام مقاليد الحكم وتسيير الدولة، فقدّم الروائي وجهة نظره حول واقع الأزمة الجزائرية عن طريق هذا العمل الفني الذي انتقد من خلاله الطرفين المتخاصمين في ثنايا الرواية دون الانتصار لجهة معينة، فخطاب السلطة الحاكمة كان سببا في نشوب الأزمة بارتكاب أعمال عنف ضد المتظاهرين باستخدام وسائل ردعية، كما زاد الخطاب الديني الأصولي حدة العنف لدى معتنقيه الذين يرون أنفسهم على حقّ ويقين، بينما ينظرون إلى غيرهم نظرة الخارج عن جادة السبيل، وربما عن الملة، وحينئذ يجوز قتلهم وتعزيرهم لإقامة دولة إسلامية بما تحمله الكلمة من معنى، ولأجل الوقوف على هذا الخطاب تحديدا تم تناول مجموعة من العناصر التي تبرز مظاهره اشتغاله ضمن الخطاب الأدبي/الروائي.

كما يلجأ الروائيون إلى توظيف النص الديني سواء أ كان قرآنا أم حديثا نبويا شريفا في أعمالهم الروائية لغايات خاصة؛ منها الفني والجمالي وكذلك المعرفي والإديولوجي، ومن الدوافع التي جعلتهم يستندون إلى النص الديني -في الغالب الأعم- دافعان:[1]

1 . إن التراث الديني، في قسم منه، هو تراث قصصي، لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردي الديني، والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة.

2 . إن التراث الديني يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإن، أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه.

1- محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص139.

وهذا يحيل إلى قدرة الرواية على تمثل عديد الخطابات وجعلها متضمنة في نسيجها وبنائها، والرواية الجزائرية لم تتوانى لحظة في تحديث خطابها وجعله منفتحا على مستجدات الأحداث والقضايا الراهنة منذ الروايات التأسيسية الأولى، والتي جاءت حاملة لنفس تجريبي تحديثي ينم عن وعي إبداعي يسعى إلى تجاوز النمطي، بحثا عن سبل تكون قادرة على احتواء كل المستجدات بطريقة فنية إبداعية، وهذا أيضا ما لوحظ في رواية "الورم" للروائي محمد ساري، حيث عمد من خلالها إلى تصوير الواقع الجزائري في فترة تاريخية حرجة كان ميسمها العنف دون سواه، بالاتكاء على ما قدمته فترة التسعينيات من أبعاد ورؤى غذت جل الأعمال الروائية في تلك الفترة، وقد وسمت بالأدب الاستعجالي نظرا لطبيعة موضوعاتها الظرفية والآنية آنذاك...

لقد وظفت رواية "الورم" النص الديني أولا على شكل تناص سواء عن طريق ذكر الآية كما هي ودون جعلها بين مزدوجتين لتحيل إلى النص المقتبس، أم عن طريق جعل الآية ضمن النص السردي وكذلك عن طريق التصرف فيها بإيراد الجزء الخادم لوجهة النظر المطروحة باستعمال التناص الجملي أو اللفظي وربما المعنوي أيضا. ومن أمثلة ذلك: ما ورد على لسان الأفغاني مفتي جماعة يزيد لحرش، وهو بصدد شحذ عزيمة كريم بن محمد الذي تم اعتقاله من طرف العسكر وارساله إلى الصحراء مع من شاركوا في مظاهرات 05 أكتوبر 1988، بقوله: "عسى أن تكرهوا شيئا، وهو خير لكم. إنه امتحان رباني لعباده الصالحين." والآية كما جاءت في القرآن الكريم "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ، وهو كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا، وهو خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا، وهو شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" سورة البقرة الآية (216)، والآية مثلما هو واضح تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وهو أمر رباني وواجب ديني على الرغم من شدته ومشقته على المجاهدين، إلا أنه بعد القتال سيكون النصر بإذن الله، والملاحظ أن بعض الآية لم يذكر في سياق الرواية، وهو: قوله تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ، وهو كُرْهٌ لَّكُمْ"، لأن باقي الآية الكريمة تبرير منطقي لكراهة القتال رَغم ما فيه من خير كثير، وطالما أن كريم بن محمد تعرض لمضايقات من طرف السلطة الحاكمة التي نفته إلى أقاصي الدنيا، وأجبرته بعد

الإفراج عنه أن يكون ملتزما بالإمضاء في دفتر خاص لدى الدرك، وجب عليه الصبر على هذا المكروه إلى أن يأتي النصر قريبا، هذا النصر المزعوم الذي أفرزه الخطاب الديني الأصولي تبنته الجماعات المسلحة التي تقتل باسم الدين وتحلم بجنة النعيم...

ومن المواضع أيضا التي تم توظيف النص الديني فيها ما جاء على لسان الراوي المتحد مع الشخصية، وهو يعرض لنا الامتيازات التي يحظى بها الأمراء في المعتقل، حيث أدرك كريم غطرستهم على جنودهم، وجشعهم وجهلهم بالمسائل الفقهية..."لكن حماس كريم فتر بنسبة كبيرة أثناء إقامته في المعتقل. حيث شاهد عن قرب السلوكات اليومية للأمراء الجدد. الذين أظهروا جهلهم المطبق بالمسائل الفقهية وعوضوه بالغطرسة والتسلط على جنودهم. ناهيك عن الخلافات الصبيانية حول مسائل تافهة. والعنف اللفظي والعبارات السوقية والشتائم البذيئة التي يمطرون بها بعضهم بعضا..."[1]، وما أشبه خطابات هؤلاء المشحونة بالمواعظ والمليئة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بخطابات الساسة أصحاب السلطة في وعودهم البراقة وأساليبهم الحجاجية التي تقنع السامع، فالأمر سيان بينهما "بدأت خطبهم تشبه خطب المسؤولين على رأس الدولة الذين يقولون ما لا يفعلون بل ويكذبون علانية ودون خجل."[2]، لقد عبرت الرواية عن هذا النفاق السياسي المليء بالزيف والكذب عن طريق توظيف الآية الكريمة التي لم تأت بين مزدوجتين بل وظفت ضمن السياق السردي الروائي، حيث جاءت واضحة في ملفوظها ولم يُجر عليها الروائي تغييرا أو تحويرا، وإنّما اعتمد بالجزء الذي يكتفي به السامع كي يفهم القصد من هذا التوظيف، فمعلوم أن الآية في سياقها الأصلي جاءت في قوله عز وجل: "وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ" سورة الشعراء الآية (226)، وهناك آيتان سابقتان لهذه الآية الكريمة تعبران عن الشعراء المتبجحين الذين يتفننون في القول ويحسنون البلاغة في الوصف، ولهم مقدرة على الرصف، ويذكرون في أشعارهم أقوالا وأفعالا لم تصدر منهم مبالغين بذلك في أساليب الكلام، وهذا ما يعضد المقولة الشهيرة: "إن أعذب الشعر

1- محمد ساري: الورم، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص18.

2- نفسه، ص19.

أكذبه"، هذا الكذب الفني المنمق المؤثر في الأسماع والنابع من المتنطعين المتشدقين المتكلفين بالفصاحة جعلهم الله من الغاوين وما أشبههم بالطائفتين اللتين أدخلتا البلاد والعباد في حمام دم لا ينضب: المسؤولون السياسيون بشرعيتهم الثورية والإسلاميون الأصوليون الذين سيجددون الدين ويؤسسون دولتهم المنشودة ..

ومن الآيات القرآنية التي تم توظيفها في هذا النص الروائي نجد قوله تعالى: "فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" سورة الرحمان الآية (56).

وقوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ سورة البقرة الآية(286).

وقوله تعالى: "ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" سورة النحل الآية (125).

إن كل آية من هذه الآيات الكريمات ارتبطت بفحوى موضوع ما، حيث جاءت لتعضده وتمنحه قيمة التصديق عند المستمع/المتلقي، على الرغم من أن الروائي لم يجتثها من سياقها الأصلي بقضها وقضيضها، بل تخير ما يكون لازما للرؤية التي تتبناها الشخصيات العاملة ضمن العالم الروائي، فجاء توظيف القرآن الكريم بمثابة مرجعية يستند إليها البناء السردي، طالما أن العمل برمته يناقش قضية مهمة تتعلق بتعاليم الدين وكيفية تأويل القرآن الكريم، وهذا من صميم الاشتغال على الخطاب الديني.

أما الاشتغال الثاني المتأسس على المرجعية الدينية فهو قائم على عدم توظيف النص الديني صراحة -مثلما مر معنا سابقا-، بل يفهم من السياق العام للرواية، إنه النسق المهيمن والمحفز الرئيس لكتابة رواية "الورم"، وهذا ما يلمسه القارئ عبر جل فصولها، فالقصة الإطار تحكي سيرة بطل اسمه: كريم بن محمد، كان مدرسا في مدرسة ابتدائية مناضلا في حزب إسلامي،

جرته أحداث 5 أكتوبر 1988 إلى المعتقل دون ذنب واضح يتعلق بأحداث العنف والتكسير والعصيان...، حيث قضى قرابة عام في الصحراء القاحلة دون محاكمة أو جرم مشهود، وبعد العودة وجد نفسه بين أمرين؛ الابتعاد عن كل المشاكل والعيش بأمان وسلام أو الانضمام للجبهة المسلحة، وبطريقة ما يجد نفسه رهينة لجماعة يزيد لحرش التي كلفته بمهمة اغتيال صحفي دون وجه حق، هذا بعد استباحة دمه من طرف الجماعة التي أفتت بأن هؤلاء الإعلاميين طواغيت ولا بد من تصفيتهم، إلى جانب العديد من المحطات المرتبطة بصلب القصة المروية المناقشة للأزمة الجزائرية التي ساهمت فيها الجماعات الإسلامية الأصولية من جهة، والنظام السياسي القائم آنذاك من جهة ثانية، فالمرجعية الدينية ها هنا وظفت من قبل الروائي لوضع الأزمة في مساءلة أدبية فنية تروم إجابات واضحة وصريحة عن مسببات القتل التي طالت الشعب الأعزل، فكانت المحاكمة هنا قائمة على انتقاد كلا الطرفين دون الإرتكان لجهة دون أخرى.

3. العنف وخلفيته الأصولية المتطرفة/ الإرهاب السياسي في الرواية:

شكل العنف في فترة التسعينيات ظاهرة بارزة.، وهذا ما تفننت الرواية في وصفه وتقديمه للمتلقي، ولا شك في أن العنف مظهر من مظاهر الفكر الأصولي –كما هو معروف-، وهذا ما أراد الروائي تمثيله في عمله، فالخطاب الديني في الجزائر أخذ مسارات ملتوية لم تؤد إلى دار قرار ويقين، بل جر كثيرا من الناس إلى اعتناق فكر تكفيري (الأصولية الإسلامية، والتي تتشكل من حركات سياسية متطرفة) يتأسس على ممارسة العنف الذي يبررونه على كونه جهادا ضد من يصفونهم بالطواغيت المارقين الخارجين عن ما أمر به الله والرسول الكريم (والله ورسوله منهم براء) لفرض أفكارهم وبسط نفوذهم وسلطانهم، وهم على هذا الأساس يتخذون من الدين مطية للحكم على كل من يخالفهم في ما يدعون إليه بالكفر والإلحاد، ووجوب قتله، وهذا ما أدى إلى تأسيس جماعات مسلحة أطلقت عليهم تسمية إرهاب "وما الإرهاب –في الحقيقة- سوى مظهر من المظاهر الأصولية، إنه رأس الحربة والجناح المسلح، وما الأصولية

سوى الخزان الخلفي الذي سيظل يفرز الممارسات الإرهابية ما بقى، وقد تخبو جمرة الإرهاب تحت رماد التواطؤات السياسيوية زمنا، ولكنها ستستعر كلما حركت الأصولية ريحها."[1]

وفي صراخ مبحوح، حاول الروائي بسلاحه المتمثل في قلمه فقط أن يقف على الجرائم البشعة، مصورا أعتى المواجهات وأشرس أنواع التقتيل بين أبناء الوطن الواحد. واضعا الأزمة نصب عينيه حتى يجد أجوبة لأسئلة ظلت مبهمة وملحة، ليتشكل وفقا لذلك نمط في الكتابة الروائية ينسحب على الواقع الجزائري ليكتب محنته انطلاقا من منحة/محنة الكتابة "وهو نمط يتخذ من الفتنة الجزائرية سؤالا مركزيا لمتنه الحكائي، تتوالد منه تيمات الموت والإرهاب والرعب والمنفى"[2]، **وقد** تقاسم هذه الثيمات في الرواية جناحان: تمثل الأول في العنف السياسي/فساد السلطة التي تحركها الشرعية الثورية من خلال الحزب الواحد الحاكم منذ الاستقلال (جبهة التحرير الوطني)، والثاني في العنف الاجتماعي الذي مارسته الجماعات المسلحة التي تتبنى أفكارا إسلامية راديكالية تكفيرية يغذيها خطاب إسلامي معاصر قائم على الانغلاق والتعصب ضد المجتمع خاصة فـ "الناس محاصرون بين معسكرين لا يترددان في استخدام وسائل جهنمية يحار إبليس نفسه منها، وتجعله يفكر جديا في أخذ تقاعده وتوريث إمارته إلى أحدهما؛ فمن جهة، عيون أجهزة الأمن المثبتة في كل زاوية تلاحق المشتبه فيهم. ومن جهة أخرى السيوف الصدئة المسلولة وخراطيش المحشوشة للجماعات الإسلامية المسلحة التي تحصد دون تمييز بين الحشائش الضارة وسنابل القمح النافعة. يترصد كل قطب الآراء التي تسانده وتلك التي تعارضه. إن الذي ليس معي هو بالضرورة ضدي وعلي محاربته دون هوادة."[3]،

1- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة باللغة العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص107.

2- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005، ص11.

3- الرواية، ص50/51.

وهذان المعسكران مستعدان للقيام بأي شيء في سبيل كرسي الحكم، لأنه ببساطة ناتج عن إلغاء الطرف المقابل وعدم محاورته للوصول إلى حلول تنأى بالبلاد والناس عن هول ما وقع "ما جدوى الكلام الآن؟ ما فائدة الكلام أمام المحشوشة والكلاش والسيف المسلول والمداهمات الليلية. يظهر أن زمان الكلام انتهى لأن كل طرف اقتنع بعدم جدواه. لا أحد يريد أن يسمع الآخر. كل واحد يقول أنا ربكم الأعلى فاعبدون."[1]، ومن بين المواقع في الرواية التي تم توظيف مشاهد العنف فيها تلك العملية التي قام بها يزيد لحرش رفقة أعوانه لما قاموا باختطاف فورغون عبد القادر بن سعيد، التي استعملوها لتنفيذ مخطط هجوم على دار البلدية، حيث أحرقوا فيها سيارات تابعة للدولة، وكذلك ما اقترفوه بهجومهم على العمارة التي تأوي زمرة من الدركيين راح ضحيتها شابة في مقتبل العمر هي سليمة أخت زوجة الدركي رابح بن سالم قائد المفرزة، ومن المشاهد المرعبة التي تصور وحشية القتل: استدراج الصحفي محمد يوسفي من طرف صديقه كريم بن محمد ليقدمه فريسة سائغة للإرهابيين الذين قاموا بذبحه كأنه شاة، دون شفقة أو رحمة، ودون سبب واضح يبرر قتله، ثم إن قتل النفس لا يكون إلا بالحق، ولا يوجد في القرآن الكريم ولا آية واحدة تبيح قتل المسلم لأخيه المسلم (أو حتى الكافر)، فالله عز وجل هو المالك لزمام أمورنا، وهو الذي يعذبنا أو يعفو عنا برحمته إن شاء، يقول الراوي: "كان ممددا على ظهره، ويكاد وجهه يلامس جذع شجرة الكاليتوس. تقدم فريد زيتوني، انحنى على جسده، أخذ حفنة تراب وأدخلها بعنف في فم الصحفي كي يمنعه من الكلام... انحنى يزيد لحرش والسكين بيده... قهقه يزيد لحرش بصوت مرتفع وقال: -امسك الرأس جيدا كي أتمكن من إتقان الذبح... ودون أن ترتعش يداه، مرر السكين على الرقبة. انفجر الدم بقوة. ارتعش الجسم في حركات حادة، متتالية. ارتفع شخير مخنوق.، ثم توقف الجسم المذبوح عن الحركة... تقدم بوشاقور وبضربة رجل عنيفة، دفع الجثة نحو حفرة صغيرة. انقلبت الجثة مرتين قبل أن تتوقف، نصفها في الماء العكر. لم يتكلم أحد. كانت

1- الرواية، ص54.

الحركات مليئة بالحقد وبشعور دفين بالنصر."[1]، وفقا لهذا المقتبس فإن الروائي قد رسم للقارئ لوحة فنية عنوانها اغتيالُ أعزل بطريقة مشهدية تقوم على لغة سردية مشحونة بدوال العنف والإرهاب، إنه قتل للذات الجزائرية بطريقة وحشية لأناس أعدموا ضمائرهم، وباعوا أنفسهم للشيطان يتحكم فيها كيفما يشاء، إنهم ظلاميون ولا يبغونها إلا عوجا، وفي الجهة المقابلة نجد عنف السلطة التي قمعت المتظاهرين وأرسلت كثيرا من الخلق إلى معتقلات في أماكن قصية ومجهولة، ومارست ظلمها وجورها وعنفها على المسجونين.

ولا أدل على، ذلك، مما جاء في الرواية ليعضد هذه الفكرة من خلال هذا الملفوظ السردي: "يفتخر موح لكحل دائما بأنه متفنن في تقنيات التعذيب. تعلم آلياتها أثناء حوادث أكتوبر. كان وقتها يشتغل في زرالدة. بمساعدة الشرطة وجهاز المخابرات. مارس تعذيبا وحشيا على المتظاهرين الموقوفين. جربوا طرقا شيطانية تجاوزت في وحشيتها تلك التي مارسها المظليون الفرنسيون أثناء معركة الجزائر... الأمكنة مظلمة. تفوح منها روائح كريهة من بقايا القيء والغائط ومواد كيمياوية تستخدم في التعذيب مثل الأسيد والكلورو فرم. مارس موح لكحل وزملاؤه عذابا لا انسانيا على الموقوفين. ابتداء بالشتائم المزبلية المهينة. والدبزات والركلات... وصولا إلى طرق جهنمية مثل ضغط منشفة مبللة بالجافيل والكريزيل على الفم. وإرغام السجين على شرب ماء صابوني باستخدام الأنطونوار. وأخيرا اللجوء إلى وضع ملاقط حديدية مكهربة على شحمة الأذنين وحلمتي الصدر والأير. واللواط الطبيعي والاصطناعي (إقعاد السجين على فم زجاجة). تعلم موح لكحل معرفة المناطق التي لا يتحمل الإنسان معانقتها أكثر من حد معين. وبعدها يتحول إلى عبد طيع ذليل. يقبل بكل الاتهامات المنسوبة إليه من قبل الجلادين. بل ويؤدي عدم تحمل الوجع إلى اختلاق تهم أخرى لعلها توقف التعذيب الوحشي."[2]، فهذا ما يعكس تورط السلطة في إشعال جذوة العنف بهذه الاعتقالات وطرق التعذيب والقمع المختلفة، وهو انتقاد واضح وصريح لهم من قبل الناص، حيث جاء

1- الرواية، ص ص180/181.

2- الرواية، ص ص130/131.

على لسان من يمثلونها من أجهزة أمنية تقوم بتصفية كل من يخرج عن إيديولوجية هذه السلطة بحجة حفظ الأمن وتهدئة الأوضاع.

على هذا الأساس فإن خطاب العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة قد اتخذ مظاهر مختلفة باختلاف أقلام الروائيين الذين انبروا لتسجيل صغير الأحداث وعظيمها، كاشفين عن همجية ما يحدث، محللين وناقدين للأسباب التي أدت إلى الأزمة، فأماطوا اللثام عن سلبية الخطابين/الإيديولوجيتين اللتين تسببتا في ما يحدث، فوسم هذا الخطاب الروائي بأنه مأساوي وصادق في تقديم الواقع الجزائري في مرحلة حرجة من تاريخه.

4. الخطاب الديني الأصولي في رواية الورم ومرجعياته الفكرية:

تمت الإشارة سالفا إلى كون العنف الذي عصف بالجزائر مرده إلى الخطاب الديني المعاصر أو ما يسمى بالإسلام السياسي الذي يعتمد على الدين لتحقيق مكاسبه، وذلك بالتأثير على الشعوب واستمالتهم بالحجة والدليل النقلي الذي يخضعونه لتأويل ظاهري تتحكم فيه أهواؤهم، وقد أورد روجيه غارودي تعريفا للأصولية قائلا: "تعريف الأصولية واضح: فهي تقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها.، وهكذا تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة وأنها تفرضها."[1]، يفيد هذا الطرح بأن معتنقي هذا الفكر يؤمنون إيمانا قاطعا بأنهم على حق ولا بد من اتباعهم بفرض آرائهم فرضا، "لكن الأصوليين لا ينطلقون من هنا لإحياء إسلام يجيب عن أسئلة عصرنا الحيوية. فالأمور تجري كلها وكأن المسلم، في نظرهم، يعني العيش كرعية الخلفاء العباسيين منذ عشرة قرون تقريبا..."[2]

1- روجيه غارودي: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، دط، 2000، ص14.

2- نفسه، ص60.

وهذا ما يُستشف من خلال البحث في ثنايا الرواية التي لعبت على هذا الوتر الحساس، من خلال بث خطاب التكفير والدعوة للجهاد لبناء الدولة الإسلامية المنشودة، وينطبق الأمر تحديدا على ما مثلته جماعة (يزيد لحرش) منذ النقطة الأولى للسرد عندما تم استدعاء كريم بن محمد من أجل تنفيذ عملية اغتيال أحد الصحفيين، وما مبرر، ذلك إلا فتاوى الجماعة الإسلامية التي جسدها السرد في شخصية الأفغاني فقيه الجماعة ومفتيها، وقد صور الروائي التردد الذي ظل ملازما لكريم بن محمد من خلال طرحه لأسئلة عقدية يتمثل جوهرها في حقيقة هذا القتل ومبرراته وشرعيته يقول: "كيف يمكن لي أن أقتل رجلا؟ هكذا بكل بساطة أتقدم نحوه أصوب المسدس تجاه صدره أو ظهره وأطلق النار... كيف يمكن لمسلم أن يقتل مسلما دون سبب قاهر؟ قال الأفغاني بأن قتل الصحفيين الذين يعملون في وسائل الإعلام العمومية التابعة لدولة الطاغوت فعل جهادي. وأن العلماء المسلمين في المشرق قد أصدروا فتاوى تبيح مثل هذه الاغتيالات، والتي تندرج ضمن الأفعال البطولية التي تمهد لقيام الدولة الاسلامية. الطاغوت يستخدم هؤلاء الصحفيين لتشويه سمعة الاسلام والمسلمين. إنهم يحاربوننا بوسائلهم الشيطانية التي استوردوها من الغرب الكافر. لهذا السبب أفتى هؤلاء بجواز قتل الصحفيين وكل الكتاب الذين يفترون على الإسلام في كتاباتهم..."[1]، على هذا الأساس تم الانتقال والتحول من خطاب سياسي دعوي يتأسس على الديموقراطية في الطرح إلى خطاب راديكالي ديدنه رفع السلاح في وجه كل المخالفين له، ذلك بعد توقيف المسار الانتخابي واعتقال كوادر الجبهة الإسلامية للإنقاذ وكثير من المتعاطفين معهم.

هذا، وقد ركزت الرواية على خطاب العنف الذي حركته الأصولية وظلت تنسج من أفعال المعسكرين نسيج قصتها، كي يتعرف المتلقي على الأسباب التي غذت سبل القتل وزادت من حدته. لقد تم تبرير ما يحدث دائما بأسباب دينية ترجع إلى الفتوى التي تصدر من أطراف لا علم لهم بتعاليم الدين السمحة، إنما قادهم التهور وأفكارهم المريضة إلى التحجج بذلك، وقد ذكر الروائي المرجعيات التي غذت هذا التفكير كما وقف على الأفكار المسمومة التي كانت تبث

1- الرواية، ص ص31/30.

في المعتقلات من لدن الذين يسمون أنفسهم أمراء الجماعة والمفتين الحقيقين الذين يمتلكون الحقيقة الكاملة التي خبروها عن الرسول الكريم والسلف الصالح، لقد بلغ بهم الغلو حد تكفير كل المجتمعات وتصنيفها في خانة المجتمعات الجاهلية التي سلمت نفسها للطاغوت وابتعدت عن الدين الصحيح الذي كان عليه الرسول الكريم وصحابته "كان أحد الأمراء يحدثهم في حلقاته عن الجماعة المسلمة مثلما يحددها مصطفى شكري أمير المؤمنين. أمير آخر الزمان ووارث الأرض ومن عليها. إن الجماعة المسلمة ترى أن كل المجتمعات القائمة مجتمعات جاهلية وكافرة قطعا. وترفض كل أقوال الأئمة والإجماع وسائر ما تسميه الأصنام الأخرى كالقياس. إن الالتزام بجماعة المسلمين ركن أساسي كي يكون المسلم مسلما. وترفض الجماعة ما ابتدعه المسلمون من تقاليد وما رخصوا لأنفسهم فيه، وقد أسلموا أنفسهم للطاغوت، وهو الحكم بغير ما أنزل الله.

إن الإسلام عند جماعة مصطفى شكري ليس بالتلفظ بالشهادتين ولكنه إقرار وعمل، ومن هنا كان الذي يفارق الجماعة كافرا. إن الإسلام الحق هو الذي تتبناه جماعة المسلمين، وهو ما كان عليه الرسول (صلعم) وصحابته وعهد الخلافة الراشدة فقط. وبعد هذا لم يكن ثمة إسلام صحيح على وجه الأرض حتى الآن. أفتى مصطفى شكري بعدم إسلام الحكام والمحكومين وإن نطقوا الشهادتين."[1]، يحيل هذا المقبوس طيا إلى فكر أصولي متطرف رافض لكل ما هو موجود مستبعد لأبجديات الحوار والتعاليم الدينية التي تدعوا لذلك، بل يصبح القتل أمرا مشروعا في سبيل بناء دولة وهمية لا تقوم لها قائمة بهذه الأساليب العدوانية التي تلغي مفاهيم التطور والتحضر، وتحصر الدين في مسائل تزيد من حدة التأزم وتُفَعِّل كل ما من شأنه أن يشتت ويفرق بدل، مما يجعل من الأمة أمة واحدة بتكفير المجتمعات وإباحة دماء المسلمين لأسباب واهية ما أنزل الله بها من سلطان، وهذه المرجعية الفكرية التي تعود لأحد الأقطاب وأحد المؤسسين لجماعة الإخوان ممثلا في شكري أحمد مصطفى أطلق عليها النظام المصري جماعة التكفير والهجرة، وهي جماعة جهادية عرف عنها أعمال عنف قاموا بها

1- الرواية، ص31.

في مصر، حيث تتلخص أيديولوجيتهم في أن المجتمع المصري والدولة المصرية القائمة دولة ملحدة كافرة ينبغي محاربتها كما يجب أن يهاجروا ليؤسسوا دولتهم، هذا ما سعى الروائي إلى بسطه في المتن ليبين للقارئ المرجعية الفكرية التي تبناها خطاب العنف في الجزائر، حيث تم ذكر كتابين أسسا لهذا الفكر المتطرف هما: "معالم في الطريق لسيد قطب والتوسمات لمصطفى شكري، والكتاب الثاني مخصص ليدرسه أمراء المجموعات. الكتاب مخطوط في نسخ مكتوبة باليد لأن مؤلفه اعتبر كل منجزات المدينة الحديثة متاعا كافرا."[1]

والمطلع على كتاب (معالم في الطريق) سيدرك أن سيد قطب قسَّم "الأنظمة الاجتماعية إلى فئتين: نظام الإسلام ونظام الجاهلية (وكلمة الجاهلية هنا مشتقة من الجهل الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية قبل مجيء النبي محمد وقبل نزول الرسالة على محمد ﷺ حيث كان الناس لا يعبدون الله، وإنّما يعبدون رجالا آخرين متنكرين في هيئة آلهة) وأشار سيد قطب في تحليلاته إلى أن حكومة عبد الناصر هي عبارة عن نسخة جديدة من الجاهلية.، وقد أدى، ذلك إلى تصاعد شعبية سيد قطب بين الشباب من جماعة الإخوان المسلمين كما أدى إلى احتقار الناس للمؤسسة السياسية والدينية في مصر."[2]، هذا ما شرع لكل من اعتنق الفكر الأصولي أن ينظر إلى الذين لا يتبعون تعاليمهم على أنّهم جاهلون ويحق لجماعة المسلمين استباحة دمهم وأموالهم، كما أن سبب الهزائم المتتالية للعرب والمسلمين أمام الكيان الصهيوني، والخنوع العربي أمام القضايا الإسلامية المعاصرة، وما تتخبط فيه الشعوب من مشاكل وآفات اجتماعية ما هو إلا ابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي، وما هو إلا تفريط من طرف الطواغيت في اعتماد الأنظمة السياسية الغربية التي تكرس إيديولوجية علمانية تجعل من الدين مجرد جسد دون روح، ولذلك وجب على جماعة المسلمين الجهاد ضد الأنظمة السياسية القائمة لأن المجتمعات المعاصرة أصبحت تؤمن بالأشخاص ولا تعتقد بما أنزل الله

1- الرواية، ص32.

2- دليب هيرو: الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، تر: عبد الحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1997، ص ص128/1289.

وما سن رسوله الكريم في بناء الدول وكذلك في الأنظمة التشريعية والقوانين الداخلية التي تتوسلها، وهذا ما جاء في الرواية التي عبرت عن هذا التوجه الذي نحاه شكري مصطفى في مفهومه للدولة الإسلامية، التي لا بد أن تقوم على أنقاض هذا العالم الجاهلي "إن دولة الإسلام قائمة على تدمير الكافرين وتوريث المؤمنين الأرض من بعدهم... لا بد من الهجرة. ما من رسول إلا وهاجر... لا إجماع ولا قياس ولا مصالح مرسلة ولا رأي صحابي ولا... قال الله. قال الرسول وحسب. هكذا كانت جماعة محمد (ﷺ) تنهل نهلا مباشرا من كلام الله وكلام الرسول. وجماعة آخر الزمان لا بد وأن تسلك نفس الطريق. إن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف. إن حكام هذا العصر في ردة عن الإسلام. تربوا على موائد الاستعمار. سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية. فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلّوا وصاموا وادعوا أنهم مسلمون."[1]، هذا هو دستور الجماعة الأصل والحق الذي لا بد أن يصبح هو الفيصل في إقامة الخلافة الإسلامية، وذلك بأسلمة العالم بحد السيف، وبناء حضارة أخرى تنفي وتلغي كل منتجات الغرب الكافر الذي بسط قيما ومناهج مخالفة للقيم الإسلامية الراسخة منذ عهد الرسول الكريم.

لقد ركزت الرواية على هذه التصورات والأفكار الأصولية التي غذت العنف ووقفت عندها تساءلها من خلال الشخصيات الموظفة فيها، وقد تجلى هذا الفكر تحديدا في الطريقة التي يقوم بها هؤلاء ومن والاهم في نشر إديولوجيتهم الراديكالية وفي نظرتهم لكل من لا يعتنق هذا الفكر المتطرف "يسافرون جماعات متجانسة في مظهرها الخارجي. بتلك الألبسة الغريبة المستوردة من أفغانستان وباكستان. والوجوه الملتحية. فينزلون على المدن والقرى كالفاتحين. آتين بدين جديد. هم المسلمون وحدهم، أما الآخرون فهم من المشركين والمجوس وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. كان سلوكهم وكلامهم يتسم بالغرور والزهو والانتصار. يتحدون غيرهم ويمطرونهم بوابل من النظرات الاحتقارية ويتوعدونهم بأشد العقوبات بعد أن يستولوا

1- الرواية، ص32.

على السلطة."[1]، لم يأت هذا الطرح هكذا بل أراد من خلاله الروائي أن يبرز أيديولوجية هذه الجماعات التي تتجانس من حيث المظهر واصفا لباسهم بأنه غريب عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، خاصة عندما يحدد مصدر تلك الألبسة فهي من أفغانستان وباكستان، والمعروف عن هاذين المكانين أنهما مكانان للتوتر والتمرد والثورة، وكذلك هما بؤرتان معروفتان بالحروب الأهلية وبانتشار العنف، ثم إن الغلو والاستبداد الذي تتسم به أفكار هذه الجماعة جعل منهم مغرورين في كل تصرفاتهم، حيث أنهم سينتقمون وينكلون بكل من يخرج عن تعاليمهم حالما يستولون على السلطة، ثم أن الفتاوى التي تصدرها الجماعات المسلحة تثبت هذا التورط الشنيع في إراقة الدم، والسرد الروائي عبر تضاعيفه قد أبان عن صراع واضح بين الراديكاليين ونظام الدولة المبني على الاشتراكية "وحسب فتوى حديثة العهد من أمير الجهاد المسلح، يبيح الإسلام قتل كل الذين يشتغلون في مؤسسات السلطة كما يجوز شرعا حرق وتدمير وإتلاف أملاك هذه المؤسسات العمومية لإضعاف السلطة. تمهيدا لإقامة دولة الإسلام."[2]

ومن جميل ما قدمه الروائي، ذلك الحوار الذي دار بين الأخوين علي وكريم حول فحوى هذه الفتوى التي كما قال علي لو تطبق لقتل جل الشعب. لأن الدولة بعد الاستقلال قد انتهجت المنهج الاشتراكي الذي سيطر على معظم الميادين، وجعل المصلحة العمومية فوق كل المصالح، وبهذا المنطق الذي يتبناه كريم ومن معه سيدخل البلاد في دوامة لا مخرج منها، وعليه فقد تم فضح هذا الخطاب الديني ونقده من طرف الرواية التي سارت منذ البداية لتقدم لنا بطلا خائفا مترددا ومتورطا في حمل السلاح ضد الشعب والدولة ومؤسساتها دون اقتناع بهذا الخطاب المكرس للعنف، لكن في نهاية الرواية يصبح الأمر واقعا ويتخندق كريم في حزب الشيطان الذي اختاره كي يصبح أميرا لجماعة من الجماعات الإرهابية التي أدخلت الرعب في قلوب الجزائريين ردحا من الزمن.

1- الرواية، ص18.

2- الرواية، ص ص146/147.

5. الخطاب الديني الأصولي في رواية الغيث:

تتمحور رواية الغيث موضوعيا حول تجليات الخطاب الأصولي لدى طائفة من الشباب خلال مرحلة العشرية السوداء، تحدوهم الرغبة الشديدة في إقامة شرع الله، غير أنّ حماستهم المفرطة وعدم رسوخ أقدامهم في طلب العلم الشرعي حال دون تحقق مرادهم. بطل الرواية (المهدي) شاب يافع ظل يتردد على زاوية (سيدي المخفي) التي كان والده قيّما عليها، وقد كان يراوده حلم إيجاد ممر عبرها يقوده إلى الكعبة المشرّفة، وفي إحدى الأيام وقتَ الغسق عثر على مخطوط قديم مندس تحت ألواح الضريح، ومنذ، ذلك الحين ظلّ ينتظر كرامةً ترفع شأنه بين الناس، وحتى يتحقق له، ذلك قرّر السفر إلى مكة مشيا، غير أنّه مُنّي بالخيبة حَالَ وصوله إلى الحدود، أين مُنع من العبور هو وصديقه الجديد سليمان. عاد المهدي وصديقه إلى بلدته (عين الكرمة)، وقرر أن يغير سلوكه، فتخلص من ملابسه الأوربية واستبدلها بلباس إسلامي، وأطلق العنان للحيته، وكان ينزوي بعد كل صلاة إلى سارية بالمسجد يقرأ القرآن والفقه، فالتحق به شباب آخرون، فتكونت حلقة متينة يديرها المهدي، غير أنّ هذا الصنيع أقلق إمام مسجد سيدي عبد الرحمن، فكانت بين الطرفين مشادّات كلامية مؤذنة ببوادر الفتنة. وبالفعل، اقترح المهدي على مُريديه أن يمتنعوا عن الصلاة خلف الإمام.

وهنا يطفح الخطاب الأصولي المتطرف والمحتكم إلى العقل والهوى لا إلى النص والمنهج، حيث يخاطب أصحابه بشأن الإمام "إنّه موظّف عند الدولة الشيوعية التي تملي عليه خطبه. يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر. يعملون بآية (ويل للمصلين) ولا يكملون البقية. ولا يمكن له أن يعصي أولي أمره، لأنهم عندئذ سيقطعون رزقه. نحن نقول بأنّ الله هو الرازق. ولا نحتاج من الدولة الكافرة شيئا"[1]، فكان هذا الخطاب مؤذنا بالتصدّر والإمامة والقيادة من طرف المهدي، وكان مؤذنا بالفتنة والشقاق، فقد صار المهدي يؤم أصحابه في الوقت الذي يؤم الإمام سي عبد الحق المصلين، "اختلط الحابل بالنابل. بعض الناس راكع،

1- محمد ساري، الغيث، منشورات البرزخ، الجزائر، 2007، ص 63-64.

والبعض الثاني واقف. البعض صامت، والبعض الثاني قارئ"[1]. ومع، ذلك ظلّ الإمام يحذّر من الفتنة والفرقة في خُطبه وفي نقاشه مع المهدي وجماعته. اهتدى المهدي إلى فكرة بناء مسجد يكون إمامَه، وذلك بعد أن كثر أتباعه، فأحضر له صديقه سليمان ناقة لتحدّد مكان إقامة المسجد، على طريقة قصة بناء المسجد النبوي، حينما أمر النبي ﷺ بأن يخلّى سبيلها لأنها مأمورة. وفي هذا إشارة أيضاً إلى أنّ المهدي بدأ يهيّئ الناس نفسيا بفكرة الالتحام بشخصه، مثلما التحم الصحابة بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام. غير أنّ حلمه لم يكتمل، حيث اقتحم رجال الشرطة مكان مشروع إقامة المسجد وأخذوا أصاحب الناقة للاستنطاق.

لم يكن أمام المهدي سوى الاستيلاء على مسجد سيدي عبد الرحمن وعلى منبره، طاردا الشيخ عبد الحق بحجة أنّه شيخ موظف مأجور، وهذا لا يجوز. نجح المهدي في التسلط على المسجد، ومع اطلاعه على بعض المخطوطات المتواجدة فيه عثر على مخطوط صار يشكّل مرجعية له، عنوانه: (الكرامات في حياة المهدي بن تومرت)، وقد وجد في شخصية (محمد بن تومرت ت 524) المُوحّدي ما يتناسب مع طموحه في القيادة والدعوة، خاصة وأنّه ادّعى المهديّة، و"تعتبر فكرة المهديّة وسيلة ممتازة لكسب الأنصار، وضمان ولائهم المستمرّ، حيث يلتفّون دونما انفراط حول الشخص الذي يعتقدون أنّه المهدي المنتظر، ويعتقدون أنّه سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا"[2]. وقد كان بن تومرت يجوب مدن المغرب العربي لتطهيرها من كل الآفات والمنكرات، "ورغم الانزلاقات والمواجهات الدامية، لم يضع محمد بن تومرت حدا لنشاطه. كان يؤمن إيمانا راسخا بأن إنقاذ المسلم من أهوال القيامة لن يتمّ إلا بعد تطهير حياة الدنيا من الرجس المتفشي. وتصوّر نفسه المنقذ من الضلال"[3]. وعلى هذا الأساس قرر المهدي تغيير اسم المسجد إلى (المهدي بن تومرت)، ودرّس سيرته، وأقنع أصحابه أنّ المجتمع

1- نفسه، ص64.

2- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، مصر، ط1، 1983، ص 113.

3- الرواية، ص127.

الذي يعيشون فيه لا يختلف عن مجتمع الشيخ المهدي بن تومرت، ولذلك وجب تطبيق ما طبّقه شيخه من وسائل تطهير المجتمع. وهنا يبدأ الخطاب الأصولي المتطرف بالتكشّف على لسان المهدي وجماعته من الشباب المتحمس للتغيير بأقصر السبل. وفيما يأتي جوانب من تجليات الخطاب الأصولي في الرواية.

1.5 تجليات الخطاب الأصولي على مستوى حوار الشخصيات:

لقد سعى الناصّ من خلال الرواية إلى تعرية واقع الخطاب الديني/الأصولي لدى طائفة من الشباب تحدوهم الحماسة المفرطة في تطهير المجتمع من كل ما يُنكرونه ويرونه آفة لا تليق بمجتمع عربي إسلامي، غير أنّهم لم يتهيّؤوا لذلك بطلب العلم الشرعي عن مشايخ العلم والفقه، فالعلم بالأصول يقتضي العلمَ بالقواعد التي تُبنى عليها الأحكام (حلال، حرام، منكر، جائز...)، أضف إلى، ذلك فالفتوى مظروفة بظروفها، مشروطة بشروطها، فالعالم لا يُصدر الفتوى أو الحكم إلاّ في السياق المقتضي لذلك. وبناء على ما سلف كانت حماسة الشباب ورعونتهم وطيشهم مؤذنة بفتنٍ ومحنٍ، ليس الخلاص منها بيسير. هذا، وقد آثر الناصّ أن يجري الخطاب الأصولي على ألسنة شخصيات الرواية، وعلى رأسهم المهدي، ليكون التصوير أبلغ وأقوى من مجرد رواية الراوي. وهذه بعض القضايا التي تتطلب علماً بالأصول والفقه:

- **السرقة وحَدّها:**

من المعلوم أنّ حدّ السرقة وارد في القرآن الكريم : "والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ، واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" سورة المائدة، الآية 32، غير أنّ لهذا الحدّ شروط وضوابط، فينبغي أن يُحال السارق على القاضي أو وليّ الأمر، وهو بعد، ذلك من يقيم الحدّ، غير أنّ الرواية تصوّر لنا وقوع سرقة حذاء من المسجد، ليتصدى المهدي لإقامة الحدِّ، وتطبيق بعض ما قرأه عن المهدي بن تومرت، "أمسك السارق من ذراعيه وخاطب الحاضرين:

- إنّكم شهداء على أنّ هذا الرجل قد سرق حذاءً هنا في المسجد...

قال صاحب الحذاء:

- أقسم لك بالله يا شيخنا بأن هذا الحذاء هو حذائي، وقد اشتريته منذ أيام فقط، ويمكن للتاجر أن يشهد على ذلك، إنه يعرفني، وأنا زبون دائم عنده.

- صدقناك يا رجل. وسينال السارق العقاب الذي يستحقّه وحسب شريعة الإسلام"[1]

ليُعقب الراوي بعد، ذلك على صنيع المهدي قائلا: "انتفض المهدي في كلّ الجهات كي يجمع العناصر الضرورية ليطبّق شريعة الله: شاقور مشحوذ، قرمة سيجلبها سليمان من حمّام قريب، قرمة واسعة الدائرة ومسطّحة، وأخيرا قِدْر من الزيت المغلي يوقف سيلان الدم ويسهّل اندمال الجرح"[2]

- **صلاة الاستسقاء وطقوسها:**

تصوّر الرواية الجدب والجفاف الذي لحق بعين الكرمة، وهو ما دفع المهدي إلى صلاة الاستسقاء، حيث دعا المصلين إليها مع إعلامه بضوابط الاتيان إلى الصلاة: "أوصى المهدي المشاركين في المسيرة المقدسة أن لا يجلبوا معهم، أي شيء من صنع الغرب الكافر. ينبغي التقدم أمام الخالق الجبار في طهر ملائكي. كما أوصاهم بالتيمم قبل الانطلاق، حركة رمزية للإقرار بعدم وجود الماء (...) وأخيرا على الذين يطيقون الصوم أن يصوموا"[3] وواضح من خلال كلام المهدي أنه يملي على الناس بعض ما أملاه عليه هواه، فلا سند من القرآن والسنة لكثير من أقواله وأفعاله.

- **شرب الخمر وحدّه:**

تنقل لنا الرواية تفاصيل حادثة شرب الخمر من طرف عبد القادر كروش، وإمساكه من قبل المهدي ورفاقه متلبساً، فاتهموه بالزندقة والارتداد "قال سليمان: - ماذا تفعل في هذا الوِجار القذر؟ ألا تخجل من نفسك ومن دينك؟ قم وامش معنا، سنريك كيف نعاقب

1- الرواية، ص ص142/143.

2- الرواية، ص143.

3- الرواية، ص148.

المرتدين أمثالك..."[1] فما كان عليهم سوى اقتياده إلى عنوة إلى حوش قديم ليتلقى العقاب وفق ما نص عليه قانون الإخوان الجديد: ثمانين جلدة. بعد صحوته خاطب المهدي ووعظه، غير أنّ عبد القادر أنكر عليهم صنيعهم قائلا:

"- من قال لكم بأنني مرتدّ. صحيح أنني شربت الخمر ولكن حسب علمي لا توجد عقوبة لشاربي الخمر. الجلد مخصص للزاني والزانية فقط. (...) أوقفه المهدي قائلا:

- لسنا بحاجة إلى أمثالك لنتعلم حقيقة ديننا. إنّنا جلدناك لأنك مرتدّ. اعتنقت الإسلام مدّة من الزمن، ثم تخليت عنه.

- أنا لست مرتدا ولم أعتنق الإسلام لأنني مسلم. أنطق بالشهادتين وأصوم رمضان. أنا لست مسيحيا أو مشركا كي أسلم. اعتبرتموني مرتدا لأنني شربت قليلا من البيرة ! (...)

- أسكت يا زنديق وإلا قطعنا رأسك هنا وحينا.

- سجّل في مخك العفن أن هذه المرة قد عفونا عنك. وفي المرة القادمة سنجلدك إلى حدّ الموت"[2]

لعلّ المقطع السابق يجلّي حقيقة الجهل بالقواعد التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية من قِبل شباب لم يُحصّلوا الحدَّ الذي يؤهّلهم للتصدّر وإقامة الحدود الشرعية، وخير شاهد على، ذلك جلد شارب الخمر ثمانين جلدة ! وهو حدّ ورد في القاذف بنصّ القرآن (سورة النور، الآية 04)، وأكبر من، ذلك اتّهامه بالردّة، وكل، ذلك من الغُلوّ الذي ما أنزل الله به من سلطان.

- **اللباس الشرعي:**

تتجلى هذه القضية من خلال الموقف الذي تعرضت له أم سليمان من طرف ابنها، حيث منعها من الخروج بلباسها التقليدي المشهور في العرف الجزائري باسم (الحايك)، ومع أنّه

1- الرواية، ص170.

2- الرواية، ص173.

لباس ساتر إلا أن سليمان أصرّ على عدم ارتدائه واستبداله بالحجاب الشرعي: "في ظهيرة، كانت واقفة في البهو، تسوي حايكها الأبيض الناصع، تعدّ نفسها للخروج، حينما دخل سليمان. ألقى نظرة ازدراء وصرخ في وجهها:

- كيف تخرجين بلا حجاب؟

-، وهذا الحايك، أليس حجابا؟

- لا، هذا ليس حجابا. حايك أبيض شفاف يتنافى وتعاليم الشريعة...

نظرت إليه باستغراب وخطت خطوات نحو الباب، اعترض طريقها قائلا:

- ممنوع الخروج بلا حجاب..."[1]

والمقطع، فوق ذلك، يجليّ فظاظة الشاب سليمان ورعونته في كلامه مع أمّه، فأيا ما يكن حكم ارتداء الحايك، وهو لباس ساتر لعامة الجسد، فإن سلوك سليمان وطريقة كلامه، مما يتعارض مع ما نصّ عليه القرآن والسنة، قال تعالى: "... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ..."سورة آل عمران الآية 159.

- **الدعوة وطريقتها:**

من المعلوم أنّ الدعوة ضربان: دعوة إلى الإسلام؛ وتكون لغير المسلمين، ودعوة في الإسلام؛ وتكون للمسلمين أنفسِهم، وذلك بهدايتهم إلى الحقّ والصواب، أو بتذكيرهم، من باب أن الذكرى تنفع المؤمنين. وأيا ما يكن نوع الدعوة، فإنّ الداعي مُطالب بالرفق واللين، قال الله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وهو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" سورة النحل الآية 125.

تقدم لنا رواية (الغيث) طبيعة الدعوة التي نهض بها نفر من الشباب، وهي دعوة لا تقبل مخالفة الرأي، كما أنّها لا تعتمد على الإقناع والحجة واللين، من، ذلك ما صوّرته الرواية من

1- الرواية، ص182.

معاملة سليمان لأخته وأمّه وأبيه، أمّا الأولى فقد أطفأ التلفاز في وجهها وأخذه لأصحابه بغية إتلافه، ولم يكتف بذلك بل نهرها وشتمها، دون أن يشرح لها سبب صنيعه: " – هيّا يا حمارة، أخرجي من هنا... اذهبي إلى غرفتك...

تصامّت الفتاة، فاتحة عينيها، مستفسرة عمّا يريد أن يفعله أخوها بالجهاز حينما رفعه ثانية.

- أين ستأخذه؟ إنّه غير معطّل...

رمقها بازدراء وتهديد وقال بافتخار:

- سأخلّص البيت من رجس الشيطان...

- ماذا؟ هل ستبيعه؟

- سأحرقه، هو والعود اللعين..."[1]

ولمّا حاولت أمّه التدخّل ومنعه من أخذ جهاز التلفاز وعود والده، ردّ عليها غير مبال بها، ودون أن يلقي نظرة إليها: "- قِفي مكانك أيتها العجوز ولا تتدخلي فيما لا يعنيك...

- قلت لك حطّ هذا التلفاز... (...)

- ابتعدي عن طريقي، إنّها أمور تتجاوزك. أنتنّ النساء ناقصات عقل ودين، ولا تفقهن في مثل هذه المسائل. أنتنّ أتباع إبليس"[2]

كما منع سليمان والده من استضافة فرقة موسيقية في أحد الأعراس، وبدل الغناء قام هو وأصحابه بتلاوة القرآن جماعيا وبصوت مسموع: "في تلك الليلة، كثير من المارين بقرب البيت، حينما سمعوا تلاوة القرآن، طأطأوا رؤوسهم خاشعين وتلفظوا بالعبارة المناسبة: لا

1- الرواية، ص180.

2- الرواية، ص181.

حول ولا قوة إلا بالله، أنت من السابقين ونحن من اللاحقين... رحم الله المتوفى وأدخله فسيح جنانه..."[1]

وإذا كان هذا السلوك مع أهل بيته، فكيف به مع غيرهم ممن لا يمتون إليه بصلة قرابة.

- **حدّ الزنا:**

تنقل لنا الرواية حادثة إقامة الحدّ على ليلى ابنت نايلة التي وقعت في فاحشة الزنا، وبما أنّ المهدي وجماعته تصدروا للتصدي لكل المحرمات والمنكرات، فإنّ ما صنعت ليلى يخصهم بالدرجة الأولى، حسب رأيهم، ولذلك باغتوا ليلى وابنتها ورضيعها وأمّها ليلا وهم نائمون، فاضرموا النار في منزلهم، حتى تخرج ليلى مرغمة، وقد حصل ما خططوا له، غير أنهم تسببوا في مقتل رضيعها، وبمجرد أن خرجت ليلى هلِعة، وجدت نفسها محاطة بشباب ملتحين محدِثين جلبةً: "- هاتوا الحبل... أين الحبل. اربطوا الزانية إلى جذع الشجرة. السوط؟ أين السوط؟ اجلدوا الفاجرة... مائة جلدة... ألف جلدة"[2]

فالمهم بالنسبة لهؤلاء الشباب هو إقامة الحدّ، دون الاكتراث لشروط الحدّ وطبيعته وكيفيته والقائم به؛ فحكم الزانية غير المتزوجة يختلف عن حكم المتزوجة، ولذلك يترتب عن حالة الأولى الجلد مائة جلدة، بينما يترتب عن حالة الثانية الرجم حتى الموت، وولي الأمر هو الموكل بمهمة إقامة الحدّ...

ذلك، وقد استمر المهدي وجماعته في تطهير المجتمع من مظاهر الانحلال الخلقي، والآفات الاجتماعية، والفساد، وكل ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية، غير أنهم لم يسلكوا سبيل النصح والإرشاد واللين، بل سلكوا سبيل الردع والتعزير والترهيب، وهو ما ولّد نفورا من دعوتهم وسلوكهم، وذلك ما تجلّى خصوصا في الصدام المتواصل بين جماعة الناقة وطلبة الإقامة الجامعية ومرتادي الملاهي والأوكار المشبوهة وغيرهم ممن ذُكروا في الرواية. ولعلّ

1- الرواية، ص188.

2- الرواية، ص222.

الحلم الذي ظلّ يراودهم بخصوص قيام دولة الخلافة الإسلامية حملهم على اقتفاء أثر طريقة أحد الرجال الذين خلّدهم التاريخ، فكان "محمد المهدي بن تومرت" مرجعهم في ذلك، وقد انعكس، ذلك التأثّر في فكرة "التطهير" المصحوبة بالعنف والصرامة والإلزام.

خاتمة

صفوة القول من خلال ما سبق: هي أنّ الروايتين قدّمتا نقدا للخطاب الأصولي المتطرّف الذي تبنّته فئة من الشباب الجزائري خلال المحنة التي مرّت بها الجزائر في عشرية سوداء من تاريخها، حيث:

- عالجت رواية "الورم" ورواية "الغيث" موضوعا مهما وحساسا، وهو موضوع الإرهاب من خلال التنقيب في أسبابه وتداعياته مع التركيز على الخطاب الديني الأصولي المتطرف، حيث دائما يتم تبرير أعمال العنف بأنها في سبيل بناء دولة إسلامية تروم الحق والعدل وتواجه كل الطواغيت الذين عاثوا في الأرض فسادا بسياساتهم التي تستبعد قيم الدين وتكرس ما دون ذلك.

- قدمت رواية "الورم" خطابا ناقدا للسلطة ولكل الذين تسببوا في أزمة الجزائر، فتعرضت لتفاصيل واقعية بغية إضفاء مصداقية على وقائع الأحداث الروائية التي نسجت من واقع المأساة، دون غيرها.

- كانت المرجعيات الأصولية التي غذت العنف في الجزائر مرتبطة بأيديولوجية تتأسس على رفض الآخر وتكفيره واستبعاده، وقد تم ذكر كتابين أساسيين مثلا دستور الجماعة الإسلامية، خاصة ما ارتبط بكتاب التوسمات لمصطفى شكري الذي حوى أفكارا متطرفة تدعوا إلى العنف ونبذ المجتمعات القائمة باعتبارها كافرة، وهذا هو الخطاب الذي تبنته الجماعات المسلحة في الجزائر، أما بالنسبة لمؤلفات سيد قطب فإن الروائي لم يقم بتحليلها وابراز ما حوته من فكر أصولي متطرف، ربما يعود، ذلك حسب الرواية إلى الفهم

الخاطئ والتأول السيء لما حملته أفكار سيد قطب وأيديولوجيته إزاء الواقع السياسي والاجتماعي في مصر والعالم العربي.

- تبنت رواية الورم ورواية الغيث عبر صفحاتهما رسالة مضمرة تشي برؤية المبدع الذي يرى بأن الحل بين الأطراف المتناحرة لا يكون إلا بقبول الحوار مع الآخر وعدم نبذه وإبعاده، ولا يتأتى، ذلك إلا عن طريق إرساء قيم العدل والديموقراطية وحرية التعبير.

كما بدا حرص الناصّ على تصوير حيثيات انتشار، ذلك الخطاب في أوساط الشباب المتحمس لقيام الخلافة الإسلامية، بطريقة تجنح لحيادية الراوي؛، وذلك لأنّ، ذلك الخطاب الأصولي المتطرف استمكن في حوار شخصيات الرواية، ولم ينسحب إلى خطاب الراوي. وهي استراتيجية سردية تسمح بتمرير رسالة نقد الخطاب الأصولي المتطرف، ليبقى الناص خارجيا، والراوي داخليا في حياد من رسالة النقد. وهنا يكون القارئ موجَّها إلى نقد الخطاب الديني المتطرّف الذي تسبب في فتن ومحن مدلهمّة. هكذا تجّلى تعالق الخطاب الديني بالخطاب الأدبي/الروائي، مُشكّلا -أي الخطاب الديني- مادةً للاشتغال الفني والموضوعي والتنامي السردي، فانبثق عن، ذلك رؤية للعالم متراوحة بين الوعي الكائن والوعي الممكن بتعبير لوسيان غولدمان.

المصادر والمراجع:

1- Gustave Lanson , Histoire de la littérature Française, Librairie Hachette, saint-Germain, Paris, quatorzième Edition, 1920.

2- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005.

3- دليب هيرو: الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، تر: عبد الحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1997.

4- روجيه غارودي: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، دط، 2000.
5- عبد السلام بن عبد العالي: الأدب والميتافيزيقا، دراسات في أعمال عبد الفتاح كليطو، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009.
6- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، مصر، ط1، 1983.
7- محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
8- محمد ساري: الغيث، منشورات البرزخ، الجزائر، 2007.
9- محمد ساري: الورم، منشورات الاختلاف، ط1، 2002.
10- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة باللغة العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحورالأول:

أدلجة الخطاب الديني في الرواية الجزائرية

السرد الروائي الجزائري و تفعيل الخطاب القرآني "رواية الزلزال للطاهروطارنموذجا"

أ.د بوداود وذناني جامعة الأغواط..... 09

تمظهرات الخطاب الدينيّ في الروايّة الجزائريّة وأشكاله الفنيّة

د.خديجة أسماء لرجاني - جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس – الجزائر-..... 53

الدين وتجلياته في رواية أحلام مستغانمي: "عابرسرير"

د. رابح بوشعشوعة - جامعة عباس لغرور خنشلة - الجزائر..... 67

تداعيات النص القرآني في رواية الشمعة والدهاليزبين الدلالة الشرعية والدلالة السردية

أ. الأمين تناح - جامعة عمار ثليجي بالأغواط-الجزائر..... 97

محاكاة الخطاب الديني وتوظيف أبعاده في الرواية الجزائرية بين الإجراء والتأويل

أ.فاطمة الزهراء سليليح - جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر..... 131

المحور الثاني:

أشكال التناص الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة

تقاطع المرّجعية الدّينية في الرّواية الجزائريّة، رواية الرّماد الذّي غسل الماء لعز الدّين جلاوجي، رواية " شعلة المايدة لمحمد مفلاح" رواية " معارضة الغريب" لـ" كمال داوود".

د. مولود بوزيد - جامعة مولود معمري تيزي وزو - الجزائر..... 155

تجليات الخطاب الديني في رواية متاهة قرطبة للطيب صياد

د. شميسة خلوي - جامعة الجزائر2 – الجزائر..... 181

تجليات التناص الديني في رواية الجازية والدراويش "عبد الحميد بن هدوقة"

أ .حاكمي نورة - جامعة عمار ثليجي الأغواط– الجزائر..... 199

تجليات التناص الديني في الخطاب السّردي الجزائري المعاصر

أ. فاطمة الزهراء قويدري - جامعة عمار ثليجي بالأغواط -الجزائر..... 223

تمظهر الخطاب الديني في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" لطاهروطار

أ. بن بوزيد أحمد - جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر..... 235

التناص الديني في الرواية الجلاوجية بين الارتقاء الأدبي وتمييع السرد
أ خديجة الأخضري - جامعة أبو قاسم سعد الله –الجزائر 02 – الجزائر..... 261

التناص مع التاريخ الاسلامي في رواية "الشمعة والدهاليز"للطاهروطار
أ. جلول قطاف– أ. عمار بن بتيش جامعة أحمد بن بلة وهران -1- الجزائر.. 279

تجليات التناص الديني من خلال رواية " جلالته الأب الأعظم " للحبيب مونسي
أ. أم الخير بن شريط - جامعة عمار ثليجي بالأغواط – الجزائر..... 301

توظيف الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية الرماد الذي غسل الماء لـ عز الدين جلا وجي وكراف الخطايا لـ عيسى لحيلح أنموذجا
أ. مفيدة ميزان / أعويدان مسعودة - جامعة عباس لغرور خنشلة – الجزائر 327

المحور الثالث:
الشخصية الدينية بين الاعتدال والتطرف في المتن الحكائي الجزائري

الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف في رواية كرة خاسرة لأيمن بوربالة
د .فريدة مقلاتي - جامعة عباس لغرورخنشلة- الجزائر..... 347

الخطاب الديني الأصولي في روايتي الورم والغيث للروائي محمد ساري

د. هشام تومي / د. حمزة بسو جامعة خنشلة/ جامعة سطيف2 –الجزائر. 367

الشخصية الدّينية والوعي الزائف في المتن الوطاري

د.نورالدين بن نعيجة – مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط – الجزائر..... 397

الشخصيّة الدينيّة في رواية "الغيث" لمحمد ساري

د. إبراهيم بوخالفة - المركز الجامعي بتيبازة – الجزائر..... 425

تمظهرات الشخصية الدينية في رواية " ذاكرة معتقلة " للروائي"بلال لونيس"

أ.ليندة بن عباس - جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج-الجزائر..... 457

توظيف المرجعيات الدينية في الرواية النسوية الجزائرية

أ.سهام درساوي - جامعة باتنة-1- الجزائر..... 471

المحور الرابع:
الخطاب الديني في الرواية الجزائرية واسقاطاته على الواقع

السرد بين الهيمنة وحوار الحضارات: رواية كتاب الأمير لـ " واسيني الأعرج " نموذجا

د.مصطفى عطية جمعة - كلية التربية الأساسية، الكويت 487

الرواية ونقد الخطاب الديني "سيدة المقام " للأعرج واسيني –أنموذجا-

د.كمال بن عطية - جامعة زيان عاشور بالجلفة-الجزائر..... 519

جدلية المقدس والمدنس في أعمال رشيد ميموني
د. عبدالحق الزين - جامعة وهران 2 محمد بن أحمد – الجزائر..... 541

التحولات الدينية بالمجتمع الجزائري من خلال روايتي "غرفة الذكريات و"أشباح المدينة المقتولة" لبشير مفتي
سميرة حنبلي - جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان– الجزائر..... 555

توظيف الخطاب الدّيني في رواية"الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"لطاهر وطار
أ.نجاة مراح - جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر..... 589

إشكالية الخطاب الديني في رواية "العشق المقدنس"لعز الدين جلاوجي أنموذجا
أ.نجاح منصوري جامعة محمد خيضر-بسكرة- الجزائر..... 621

ثنائية الصراع والتعايش بين الأديان في رواية "الناجي" للروائي الجزائري يوسف البازبلغيث "
أ. الجابري منصوري جامعة عمار ثليجي بالأغواط - الجزائر..... 659